مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع و الطموح

العدد الثاني - الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي

عنوان ثقافي يتم من خلاله تسليط الضوء على قضايا وملفات متنوعة في الساحة الثقافية العربية، وفي إطار واسع يشمل مختلف تجليات الثقافة المعاصرة، ليقوم من ثم برصد موقف المثقفين من تلك الحالة الثقافية، وتقديم قراءة تحليلية لملامح وتطور المشهد الثقافي

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي
مايو 2025

إخلاء مسؤولية:

الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

المدخل

تمثل الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي أداة مركزية لبناء الهوية الجماعية، وتعزيز قيم الانتماء والتنوع والتواصل الحضاري بين الشعوب. وقد شهدت العقود الأخيرة ظهور عدد من الخطط الثقافية الشاملة، أبرزها «الخطة الشاملة المحدثة للثقافة العربية» الصادرة عن منظمة الألكسو، التي تسعى إلى حماية التراث، ودعم الإبداع، وتعزيز التنوع الثقافي. كما تبرز على المستوى الخليجي الاستراتيجية الثقافية لدول مجلس التعاون 2020–2030، التي تركز على تطوير مؤسسات العمل الثقافي، وترسيخ الهوية، وتفعيل التعاون الإقليمي والدولي

ورغم الطموحات الكبيرة التي تحملها هذه الاستراتيجيات، إلا أن أسئلة عديدة تُثار حول فاعليتها، ومدى انعكاسها على الواقع الثقافي العربي، من حيث دعم المثقفين، وتطوير المنتج الثقافي، وتعزيز التبادل الثقافي العربي، إضافة إلى دورها في ترسيخ القيم المشتركة وتوحيد الرؤى الثقافية في مواجهة تحديات العولمة

في هذا الإطار، ورغبة من البرنامج الثقافي في «مركز الخليج للأبحاث» في مناقشة هذه القضية من مختلف الأوجه، فقد استطلع المركز آراء عدد من المفكرين والمثقفين حول الاستراتيجيات الثقافية العربية، مستأنسا بالأسئلة التالية:

- **ما تقييمكم لدور تلك الاستراتيجيات في تحقيق الوحدة الثقافية بين الشعوب العربية؟**
- **أين تكمن أوجه القصور المؤثرة في ضعف انعكاس تلك الخطط على أرض الواقع؟**
- **ما مدى قيام المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية بدورها في هذا السياق؟**
- **وهل تؤدي منظمة الألكسو دورها كما ينبغي؟ وما سبل تعزيز فاعلية أدائها مستقبلاً ؟**

وفيما يلي نورد إجابات المشاركين بحسب الحروف الأبجدية

جعفر الشايب

كاتب سعودي ومؤسس منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف

كأي حقل محوري مؤثر في نهضة أي أمة وتقدمها الحضاري، تعتبر الاستراتيجية الثقافية من الركائز الأساسية التي تسهم بشكل كبير ورئيسي في أعادة صياغة الوعي بالذات والتفاعل الحقيقي والمنافس والمتبادل مع الدوائر الفكرية والثقافية الأخرى في هذا العالم. وندرك جميعا بأن هناك غيابا واضحا لمثل هذه الاستراتيجيات في مختلف حقول المعرفة في منطقتنا العربية مع أن هنالك بوادر ومحاولات لوضع ورسم استراتيجيات ثقافية متعددة في بعض الدول العربية

لعلنا نشهد نجاحات أكثر وضوحا على صعيد أداء المؤسسات والمبادرات الثقافية القطرية سواء كانت رسمية أو أهلية، ودورها في تنشيط وتحريك المشهد الثقافي بصورة أكبر من أداء المؤسسات الإقليمية المشتركة حكومية أو شعبية.

وانطلاقا من المعرفة الثابتة فإن الثقافة العربية شأن لا يمكن تأطيره قطريا، كونه يندمج بصورة طبيعية مع محيطه الإقليمي – وخاصة العربي – إذ حدود تأثير العمل الثقافي القطري تظل محدودة ما لم تخترق حواجز الحدود.

ومع تعدد وكثرة المؤسسات الثقافية العربية القطرية واختلاف برامجها، إلا أنها لا تتمكن من الخروج من دائرة الاستراتيجية الثقافية لهذا القطر أو ذاك، على الرغم من كون ذلك تأسيسا ضروريا لتنمية مشاريع ثقافية عابرة للحدود

الثقافة العربية شأن لا يمكن تأطيره قطريا كونه يندمج بصورة طبيعية مع محيطه الإقليمي، كما تظل حدود تأثيره محدودة ما لم تخترق حواجز الحدود

الخطة الثقافية العربية

انطلقت الخطة الشاملة للثقافة العربية كجزء من الاستراتيجية الثقافية العربية منذ عام 1985م، وهي خطة واقعية وشاملة وطموحة تغطي أهم برامج وخطط وسياسات العمل الثقافي في أبعاده المختلفة كقضايا الهوية

والموروث ومقتضيات الانخراط في مسار الحداثة وحوكمة القطاع الثقافي وبلورة العديد من أفكار المشاريع الثقافية الإبداعية التي يمكنها أن توجه العمل الثقافي العربي نحو المزيد من الفاعلية والحضور الإيجابي عالميا من خلال برامج التعاون والتبادل الثقافي.

والكثير من هذه الأفكار والمشاريع لا تزال غير فاعلة على أرض الواقع، بسبب غياب الإرادة الجمعية لتحقيقها، فالعمل الثقافي العربي كأي مجال آخر تتداخل فيه عوامل التأثير السلبية والمعطلة أحيانا كالنزاعات السياسية وغياب حالة التفاهم والانسجام ضعف التعاون بين المؤسسات الثقافية المختلفة.

من هنا نرى أن العمل الثقافي العربي المشترك لا يزال محدودا وغير فاعل، بينيا في داخل المحيط العربي أو بينها وبين الثقافات الأخرى غير العربية حتى القريبة منها جغرافيا وثقافيا.

وهذا بطبيعة الحال ينتج عنه انغلاق وانكفاء ثقافي ينعكس سلبا على موقعية الثقافة العربية حضاريا ودوليا

إننا نشعر بالخسارة الكبيرة عندما يغيب نتاجنا الثقافي العربي بأشكاله المتعددة عن دوائر النشر والاهتمام والمتابعة والنقد، وعن أخذ زمام المبادرة في طرح وتقديم رؤى وحلول معاصرة للقضايا الفكرية والثقافية التي يمر بها عالمنا في العصر الراهن.

إن ما ينبغي أن تحققه الثقافة العربية ممثلة بمثقفيها ومفكريها هو الإسهام في معالجة القضايا المعاصرة والخروج من حالة التبعية والاستهلاك إلى مرحلة العطاء الفكري والمعالجة الجادة لتكون الثقافة العربية حاضرة وفاعلة في هذه المسيرة الحضارية.

> من دون تعاون فعلي بين المؤسسات الثقافية، تظل الاستراتيجيات حبراً على ورق

آلية تفعيل الثقافة العربية

من أجل الخروج من هذه المعضلة التي تعيق نمو وانتشار وتفاعل الثقافة العربية، من المهم جدا الاهتمام بالآتي:

تنشيط وتعزيز التعاون المشترك بين المؤسسات الثقافية عربيا من خلال برامج وأنشطة متبادلة ومشتركة

تحييد العمل الثقافي عن التجاذبات والنزاعات السياسية

البحث عن المشتركات الثقافية المتقاربة وإبرازها على شكل مشاريع وأعمال مشتر كة

تنشيط برامج التبادل الثقافي بين الفاعلين في هذا المجال

بالنسبة لمنظمة «الإلكسو» المعنية بمتابعة تنفيذ الخطة الشاملة للثقافة العربية فتقع عليها مسئولية كبيرة في إعادة طرح وتدوير أفكار ومشاريع ثقافية عربية وحدوية منسجمة ومنطلقة من هذه الخطة والعمل على تحقيقها بما يعزز المشروع الثقافي العربي

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

د.الحسين غزوي

مدير إدارة الثقافة بالأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي

التنوع الثقافي العربي ووحدة الهوية

تتميز الثقافة العربية بتنوعها وغناها وتفردها مقارنة بالثقافات العالمية الأخرى، نظرًا لاحتوائها على مجموعة من العناصر المشتركة بين الدول العربية والمتعلقة أساسًا بوحدة الدين الإسلامي، والتراث الثقافي والحضاري المشترك، واللغة العربية، لغة القرآن الكريم، والذاكرة التاريخية التي ميزت بدايات الإسلام وانتشاره ونشأة الإمبراطوريات الإسلامية، وصولًا إلى بروز الدول الوطنية في شكلها المعاصر في مرحلة ما بعد الاستعمار الغربي والحضور العثماني في بلاد العرب

ولعل قوة الرابط الديني ورمزية الانتماء لنفس الوعاء الحضاري والثقافي الإسلامي، ووحدة اللغة والقيم الإنسانية المستوحاة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، تفترض وحدة في السياسات على مختلف الأصعدة وتجميعًا للجهود في مختلف المجالات، خاصة تلك المتعلقة بالهوية العربية والإسلامية وعلى مستوى الإرث الثقافي المتوارث

> تجمع الثقافة العربية وحدة الدين، والتراث، واللغة، والذاكرة التاريخية في وعاء حضاري فريد.

ورغم كل الجهود المبذولة من أطراف متعددة بغاية تيسير الوحدة الفكرية للدول العربية بناءً على المشترك الثقافي وعوامل التكامل الروحي واللغوي والعقائدي، فإن العالم العربي لم يصل بعد إلى مرحلة بلورة رؤية موحدة قابلة للتنفيذ بخصوص جمع شتاته الثقافي والفكري في إناء واحد يغترف منه الجميع ويروي منه عطشه المعرفي المرتبط بشكل كبير بوعيه بهويته، مع احترام التنوع الثقافي الذي يعتبر حقيقة لا غبار عليها في عالمنا العربي ويمتد إلى عالمنا الإسلامي الأوسع. ويرجع ذلك -في اعتقادي- إلى تراكم السياقات التاريخية التي شكلت التاريخ المعاصر لدولنا العربية، خاصة إبان الحركة الاستعمارية الغربية لأقطارنا العربية، وما تلا ذلك من ظهور توجهات فكرية مختلفة في فترة ما بعد الاستقلال، تأثرت بعضها بتيار المركزية الفكرية والثقافية الغربية، بينما تأثر بعضها الآخر بتيارات ذات نزعة قومية أو تراثية سلفية عقائدية أو فكر اشتراكي شيوعي

من الواضح اليوم أن تيار العولمة الجارف ومحاولات تنميط الأنساق الثقافية والفكرية، واستراتيجيات التمكين لرؤية ثقافية مهيمنة تؤمن بتفوق الثقافة الغربية على سواها من الثقافات العالمية، بفعل التفوق التكنولوجي واحتكار وسائل الإنتاج المعرفي والثورات الرقمية المتواترة وأدوات الذكاء الاصطناعي، التي تحدث ارتدادات قوية في الوعي الثقافي والفكري والإنساني بصفة عامة، يشكل تحديات كبيرة تضاعف صعوبة تحقيق الوحدة المنشودة بين ثقافات وشعوب العالم العربي

من الواضح أن تيار العولمة الجارف، ومحاولات تنميط الأنساق الثقافية والفكرية، واستراتيجيات التمكين لرؤية ثقافية مهيمنة تؤمن بتفوق الثقافة الغربية على سواها من الثقافات العالمية، بفعل التفوق التكنولوجي، واحتكار وسائل الإنتاج المعرفي، والثورات الرقمية المتواترة، وأدوات الذكاء الاصطناعي، تشكل تحديات كبيرة تضاعف صعوبة تحقيق الوحدة المنشودة بين ثقافات وشعوب العالم العربي.

إن طموح الشعوب العربية في تحقيق وحدة سياسية واقتصادية بين بلدانها يصطدم بالعديد من العقبات الأساسية، من قبيل الانقسامات السياسية وحالة التشرذم والاستقطاب خدمةً لمشروع سياسي معين، دون ذكر التدخلات الأجنبية التي تزيد من حالات الارتهان لمواقف خارجية لا تخدم المصالح الوطنية أو العربية الجامعة، بل تكرّس واقع التنافر والتناحر وتغذي أهداف الأجندات الخاصة والضيقة

الثقافة كقوة ناعمة وعوائق الاستراتيجيات الثقافية

ولعل الخلافات الأخيرة حول قضايا محورية مثل قضية فلسطين، وما أفرزته من تباعد في وجهات النظر بخصوص سبل إيجاد حل نهائي للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وللمجازر المستمرة في قطاع غزة، وكذا تبعات الخلاف العربي الإيراني وما يشكله من تحدٍ حقيقي يعرقل كل إمكانية لتحقيق الوحدة المأمولة، تحد من إمكانية نجاح أي استراتيجيات، سواء كانت ذات طابع اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي

وبذكر الاستراتيجيات الثقافية، وباعتبار دور الثقافة كقوة ناعمة بإمكانها بناء جسور الثقة بين شعوب المنطقة العربية وخلق سبل التواصل والتفاعل والتفاهم بينها، وإيجاد فضاءات متنوعة للتلاقي والحوار الهادف والاحتفاء بالتراث الثقافي العربي العريق والغني والمتنوع، والذي يشكل مصدر ثراء حقيقي، فإننا، وبخلاف الفرضية القائلة بإمكانية وضع تصورات واستراتيجيات ثقافية عربية قابلة للتنفيذ، نصطدم بوضع ثقافي مترهل تغذيه الانقسامات السياسية وضعف أداء المؤسسات الثقافية المشتركة وغياب آليات فعالة لتنفيذ البرامج الثقافية الجامعة

ورغم وجود منظمات إقليمية ودولية تعمل على توحيد الرؤى الثقافية بالعالم العربي والإسلامي، كمنظمة التعاون الإسلامي التي تضم سبعًا وخمسين دولة، وجامعة الدول العربية بدولها الاثنين وعشرين دولة، ومجلس التعاون الخليجي بدوله الست، واتحاد المغرب العربي بأعضائه الخمسة، فإن هدف وضع استراتيجيات ثقافية متكاملة ومنسجمة يصطدم بواقع غياب رغبة سياسية موحدة، وهيمنة الأجندات الوطنية الضيقة، وضعف الميزانيات المرصودة لتنفيذها، وغياب التنسيق بين المؤسسات المعنية بتطوير برامج ثقافية مندمجة تحقق التقائية البرامج وآليات تقييم وقياس وتصويب مناسبة للأهداف الموضوعة والبرامج المشتركة

رغم وجود منظمات إقليمية ودولية تعمل على توحيد الرؤى الثقافية بالعالم العربي والإسلامي، كمنظمة التعاون الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ومجلس التعاون الخليجي، واتحاد المغرب العربي، فإن هدف وضع استراتيجيات ثقافية متكاملة ومنسجمة يصطدم بواقع غياب رغبة سياسية موحدة، وهيمنة الأجندات الوطنية الضيقة، وضعف الميزانيات المرصودة لتنفيذها، وغياب التنسيق بين المؤسسات المعنية.

إن تغيير الفكر السائد بأن الثقافة تعتبر ترفًا زائدًا أو عبارة عن فلكلور شكلي لا قيمة اقتصادية له، يعتبر أولوية ملحة في عالمنا المعاصر. فالصناعة الثقافية أصبحت أداة أساسية لتحقيق التنمية الشاملة والنهضة الحضارية المرجوة، باعتبار المردودية الكبيرة للاستثمارات الثقافية بكل أشكالها، وبالنظر لدور العمل الثقافي في تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات

ولعل التجارب الناجحة لمجموعة من الدول العربية، من بينها المملكة العربية السعودية التي تشهد نهضة ثقافية متفردة، والمملكة المغربية التي تسعى لتثمين تراثها الثقافي العريق والمتنوع، والإمارات العربية المتحدة باستثماراتها الضخمة في مجال بناء المتاحف وتنظيم المهرجانات والفعاليات الثقافية الكبرى، إلى جانب دول عربية أخرى ذات إرث ثقافي غني ومتجدد، لخير دليل على أهمية الاستثمار في ما أصبح يُعرف بالاقتصاد البرتقالي أو الاقتصاد الإبداعي، وهو مصطلح يحيلنا إلى الأنشطة الاقتصادية التي ينتج عنها سلع وخدمات ذات قيمة فكرية وثقافية. وتشمل هذه الصناعة الثقافية العديد من القطاعات الإبداعية، كالموسيقى والسينما والمسرح والفن بكل تجلياته، إلى جانب العلوم والتكنولوجيا والبرمجة وإنشاء المحتوى وتوظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في مجالات الإبداع والابتكار

الثقافة كقوة ناعمة بإمكانها بناء جسور الثقة بين شعوب المنطقة العربية وخلق سبل التواصل والتفاعل والتفاهم بينها، وإيجاد فضاءات متنوعة للتلاقي والحوار الهادف والاحتفاء بالتراث الثقافي العربي العريق والغني والمتنوع.

دور المؤسسات الثقافية وأهمية التحول الرقمي

إن نجاح الاستراتيجيات الثقافية العربية يحتاج إلى تعاون حقيقي بين الحكومات والمؤسسات الثقافية والمثقفين لتحقيق أهدافها، كما يجب أن تكون المرونة والانفتاح على كل الفاعلين في ميدان الثقافة دون إقصاء أساسًا للعمل وركيزة لتحقيق الحد الأدنى من الوحدة والتكامل على مستوى السياسات الثقافية المبنية على الأصالة الإسلامية والخصوصيات الوطنية والتراث الثقافي المشترك والتنوع الفكري الجاد وغير المستلب

إن ضعف انعكاس الاستراتيجيات والخطط الثقافية بشكل فاعل على المشهد الثقافي العربي يعزى بالأساس إلى غياب رؤية ثقافية مندمجة تحتفي بالتراث الثقافي العربي والإسلامي بعيدًا عن خدمة الأجندات الخاصة وتأثير الثقافة الغربية المهيمنة، بفعل الإمكانات المرصودة لزيادة قوة تأثيرها، بالإضافة إلى عدم تخصيص الميزانيات المناسبة لتنفيذ البرامج المشتركة

ويمكن كذلك الحديث عن تحول بعض نقاط القوة، كالتنوع الثقافي والديني، إلى نقمة عندما يُساء استخدامه ويصبح عامل انقسام وتشتت بدل أن يكون قاسمًا مشتركًا وعنصرًا فعالًا في تحقيق الوحدة وبناء جسور الثقة وتحقيق التقارب والتفاهم بين الشعوب والحكومات

وإذا كانت اللغة والتراث المشترك عاملي وحدة رئيسيين، فإن الاستقطاب المذهبي والنعرات الإثنية واللغوية والمبالغة بسوء نية في التركيز على الحقوق الثقافية للأقليات من طرف بعض المفكرين المتعصبين والراديكاليين تجعل الاستراتيجيات الثقافية الموضوعة محل تشكيك وتحاول إجهاض أهدافها

كما أن حالة الاستقطاب التي تغذيها بعض القنوات الإخبارية العابرة للحدود تزيد من مستويات انعدام الثقة، وتُستخدم أحيانًا كأدوات شحن للعواطف وإذكاء الصراعات السياسية وتجييش الرأي العام العربي خدمة لأجندات سياسية معينة

> يمكن أن تحول بعض نقاط القوة، كالتنوع الثقافي والديني، إلى نقمة، وذلك عندما يُساء استخدامه ويصبح عامل انقسام وتشتت بدل أن يكون قاسمًا مشتركًا وعنصرًا فعالًا في تحقيق الوحدة وبناء جسور الثقة وتحقيق التقارب والتفاهم بين الشعوب والحكومات.

ويرتبط ضعف مردودية الاستراتيجيات الثقافية العربية كذلك بمركزية اتخاذ القرار بخصوص الفعاليات الثقافية، وبالبيروقراطية الصارمة التي تحد من استقلالية المؤسسات الثقافية ومن حرية الإبداع والمبادرات المبتكرة التي يكون مصدرها المهتمون بالشأن الثقافي أو الفاعلون في المجتمع المدني. كما أن ضعف أدوات التمويل وتعقيد الإجراءات الإدارية يعيق تنفيذ المشاريع الثقافية

ولعل حالة عدم الاستقرار في العديد من الدول العربية، خاصة بعد أحداث الربيع العربي، وما تلاها من تدمير للبنى الثقافية وسيطرة الهاجس الأمني، أخرج الثقافة من سلم الأولويات، رغم إمكانياتها الأكيدة كوسيلة لتحقيق المصالحة وجمع الفرقاء حول أمور تشكل وعيهم الجمعي وتجعل الحوار ممكنًا بينهم وتأثيرها في الرأي العام

يرتبط ضعف الاستراتيجيات الثقافية العربية بمركزية اتخاذ القرار والبيروقراطية الصارمة التي تحد من استقلالية المؤسسات الثقافية، ومن حرية الإبداع والمبادرات المبتكرة التي يكون مصدرها المهتمون بالشأن الثقافي أو الفاعلون في المجتمع المدني. كما أن ضعف أدوات التمويل وتعقيد الإجراءات الإدارية يعيق تنفيذ المشاريع الثقافية.

ومن بين الأمور التي أضعفت دور الاستراتيجيات الثقافية، انتشار ثقافة التفاهة والنماذج الثقافية التجارية الجاهزة على حساب البرامج الفكرية العميقة والهادفة، حيث تحول المنتج الثقافي إلى سلعة خاضعة لمنطق السوق ولحسابات الربح والخسارة، بدلًا من اعتباره وسيلة للتأثير المجتمعي والسياسي الفعال وأداة لتنوير المجتمع وتمكينه من وسائل التنمية الثقافية والفكرية والرفاهية الاقتصادية

كما يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى الفجوة الكبيرة بين اهتمامات الشباب العربي وارتباطه اليومي بمنصات التواصل الاجتماعي، وبين الأساليب التقليدية للاستراتيجيات الثقافية التي لم تستطع مواكبة التحول الرقمي في التواصل مع جيل الشباب ونشر محتوى ثقافي عصري وجذاب يستطيع إيصال الرسائل الثقافية والفكر التنويري بطرق مبتكرة

> **أضعف انتشار ثقافة التفاهة والنماذج الثقافية التجارية الجاهزة البرامج الفكرية العميقة والهادفة، حيث تحول المنتج الثقافي إلى سلعة خاضعة لمنطق السوق ولحسابات الربح والخسارة**

ونظرًا لغياب مؤشرات دقيقة لقياس مدى تأثير البرامج الثقافية على الشباب ولمعرفة رغبات الجمهور المستهدف بالخطط الثقافية، فإن بناء استراتيجيات فعالة وناجحة يبقى أمرًا بعيد المنال

وبخصوص دور المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية في مختلف الدول العربية في تفعيل محاور الاستراتيجية الثقافية العربية، فإننا نلاحظ وجود مبادرات عديدة ترمي إلى تشجيع البرامج المشتركة من قبيل برنامج «تحدي القراءة» بالإمارات العربية المتحدة، الذي يسجل سنويًا مشاركة آلاف الشباب العربي في هذه الجائزة التي اكتسبت زخمًا كبيرًا، ومبادرة «بالعربي» التي تقام تحت إشراف مؤسسة قطر للتربية والثقافة وتنمية المجتمع، والمهتمة باستكشاف الأفكار الملهمة والتشجيع على التفكير الإبداعي وإحياء التفاعل الثقافي، وكذلك المهرجانات الثقافية ومعارض الكتب التي تسجل سنويًا مشاركة دور النشر بالوطن العربي والكتاب والمفكرين ورموز الثقافة العربية، وتجتذب عادة ملايين الزوار، مما يوحي بأهمية هذه المبادرات سواء التي تقوم بها الجهات الرسمية كوزارات الثقافة أو مؤسسات المجتمع المدني النشطة في ميدان الترويج الثقافي

ولعل استثمار العديد من الدول في البنيات الثقافية الحديثة كالمعارض والمسارح والمتاحف ودور السينما والفضاءات الفنية والإبداعية، وتخصيص جوائز تحفيزية للمبدعين ومنحهم في بعض البلدان إقامات ذهبية، قد ساهم في إحداث طفرة إيجابية في مجال الابتكار والإبداع

الثقافي، وأحدث تنافسًا بين الفاعلين الثقافيين ساهم في تحرير طاقاتهم الإبداعية وسهل مساهمتهم في إبراز غنى وعراقة الثقافة العربية وقدرتها على المنافسة والتألق عالميًا

وتلعب المؤسسات الثقافية دورًا حيويًا في تحقيق التنمية الثقافية، سواء كانت وزارات حكومية كوزارات الثقافة والإعلام والتعليم والابتكار، والتي تتمثل مهمتها في وضع الاستراتيجيات التي تعكس تصور الدولة للفعل الثقافي، أو كانت مؤسسات تمولها الحكومات المحلية وتكون ذات إدارة مستقلة كالمراكز الثقافية ودور الشباب والنوادي الفكرية والإبداعية، وتمثل فضاءات لاستقبال الأنشطة الثقافية وتنظيم الفعاليات الفنية المختلفة والندوات وورش العمل والسهرات الموسيقية والفن التشكيلي

وتقوم المؤسسات الثقافية غير الرسمية بدور موازٍ ومكمل للمؤسسات الرسمية، حيث تعمل على جذب الفاعلين الثقافيين داخل المجتمع المدني، وتوفر لهم أدوات الإبداع الفني من قاعات عروض وقصور للمؤتمرات ومعارض للفنون ومراكز للبحث العلمي والفكري والفني، تساهم كلها في بناء مواطن مثقف ذي وعي سياسي وحس فني ومسؤولية مجتمعية

وبذلك يكون دور المؤسسات الثقافية هو العمل على توفير البيئة المناسبة لتفجير المواهب وتحفيزها على الإبداع والابتكار والإنتاج الفكري الذي يساهم في تطور المجتمع ورقيه وتقدمه

دور المؤسسات الثقافية هو العمل على توفير البيئة المناسبة لتفجير المواهب وتحفيزها على الإبداع والابتكار والإنتاج الفكري الذي يساهم في تطور المجتمع ورقيه وتقدمه.

ومن خلال أنشطتها الثقافية، تعمل المؤسسات الثقافية الرسمية والشعبية على تعزيز الهوية الثقافية العربية وتشجيع الإنتاج الفكري والأدبي والإبداعي في كل المجالات، كالأدب والفنون والتأليف والترجمة والسينما والموسيقى، وتساهم في تغيير الصور النمطية عن المجتمعات، وتعمل على دمج الثقافة في استراتيجيات التنمية الشاملة والمستدامة، وفي حفظ التراث المادي وغير المادي في الدول العربية

وتوجد نماذج عديدة للعمل الثقافي المشترك على مستوى المنظمات العربية والدولية، وعلى رأسها اليونسكو والإيسيسكو والألكسو، وهي على التوالي الأذرع الثقافية لمنظمة الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية، وهناك تعاون كبير بين هذه الأجهزة في كل مجالات اهتمامها من ثقافة وتربية وعلوم، حيث يشمل التعاون وضع برامج مشتركة في ميادين التربية والتكوين والحفاظ على التراث الثقافي وصونه،

وتوجد نماذج عديدة للعمل الثقافي المشترك على مستوى المنظمات العربية والدولية، وعلى رأسها اليونسكو والإيسيسكو والألكسو، وهي على التوالي الأذرع الثقافية لمنظمة الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية، وهناك تعاون كبير بين هذه الأجهزة في كل مجالات اهتمامها من ثقافة وتربية وعلوم، حيث يشمل التعاون وضع برامج مشتركة في ميادين التربية والتكوين والحفاظ على التراث الثقافي وصونه،

آفاق العمل الثقافي العربي المشترك

وإذا ما أخذنا الألكسو كنموذج للعمل الثقافي العربي، باعتبارها الذراع الثقافي لجامعة الدول العربية، فإننا سنجد هذه المنظمة الفاعلة تبذل جهودًا جبارة في تعزيز التعاون الثقافي بين الدول العربية، رغم قلة الإمكانيات المادية المتاحة لها، حيث لا زالت تواجه تحديات كبيرة تتعلق أساسًا بنقص التمويل لأنشطتها المتعددة، حيث تعتمد على مساهمات الدول الأعضاء التي تكون غير منتظمة وغير كافية لتحقيق الأهداف الموضوعة، وغياب الرؤية الموحدة بين الدول الأعضاء بالجامعة إزاء الفعل الثقافي المشترك، وضعف التنسيق بخصوص المبادرات الثقافية الهادفة، وعدم توفر الأدوات اللازمة لمواكبة التحولات الرقمية المتسارعة في مجال نقل المعلومة وتوسيع قاعدة الجمهور المتلقي للأعمال الثقافية عبر إطلاق منصات موحدة للتعاون الثقافي، مما يعوق بشكل كبير ربط جهودها بمحاور الاستراتيجية الثقافية العربية الشاملة

كما يُؤخذ على الألكسو عدم قدرتها على استغلال الطفرة الحالية التي يوفرها الاقتصاد الإبداعي لربط برامجها الثقافية بمجالات التنمية الشاملة، خاصة في ميادين التعليم والتكوين والتمكين الاقتصادي المبني على الاستفادة من الفرص التي توفرها الصناعات الثقافية

وتستطيع الألكسو لعب دور أكبر في التنمية الثقافية بالبلدان العربية إذا ما عملت على تغيير طرق عملها بشكل يجعلها تنتقل من أساليب الفعل الثقافي التقليدي إلى الاستثمار في الإبداع والابتكار، والبحث عن سبل التمويل المستدام، وتحقيق التكامل بين الاستراتيجيات الثقافية العربية، ورفع تحدي الرقمنة، والتوجه نحو خلق منصات إلكترونية تفاعلية قادرة على نشر الثقافة العربية على أوسع نطاق وبأقل تكلفة مادية

كما يجب على الألكسو أن تسعى لتعزيز شراكاتها الدولية مع مختلف المؤسسات المرموقة في مجال التسويق الثقافي، حتى تستطيع كسب جماهير جديدة، وتوفير موارد إضافية بالتعاون مع الشركاء الإقليميين والدوليين لتنفيذ مشاريع مشتركة في كل ميادين الاقتصاد البرتقالي والإبداعي، عبر خلق مكتبات رقمية ومعارض افتراضية ودورات تعليمية وتكوينية عن بُعد، وتوثيق التراث الثقافي العربي غير المادي رقميًا

ولا يجب هنا إغفال دور الشباب وسبل تمكينه من فرص العمل الثقافي الجذاب عبر إطلاق مبادرات لدعم المبدعين، وتنظيم مسابقات لتحفيز المبتكرين والمتفوقين، وربط الفعل الثقافي بالبرامج التنموية الوطنية

وتتوفر الألكسو في رصيدها على إنجازات مقدرة في إطلاق مبادرات لتعزيز الهوية الثقافية العربية المشتركة والحفاظ على التراث الثقافي وحمايته بالدول الأعضاء بالجامعة العربية، وتعزيز الحوار بين الثقافات لمواجهة الصور النمطية عن العرب والمسلمين، والاعتناء باللغة العربية وإعلاء شأنها كلغة فاعلة ومتجددة

يجب على الألكسو أن تسعى لتعزيز شراكاتها الدولية مع مختلف المؤسسات المرموقة في مجال التسويق الثقافي، حتى تستطيع كسب جماهير جديدة.

ولعل تجويد وزيادة مردوديتها يبقى قرارًا سياديًا للدول الأعضاء، حيث لا تتوفر الألكسو، كما باقي المنظمات الإقليمية الأخرى، على الموارد المالية اللازمة لتحقيق أهدافها الرئيسية، مما يعيق جهودها في الوقوف أمام التحديات الكبيرة التي يواجهها العالم العربي في الحفاظ على تراثه الثقافي الغني والمتنوع وحماية الهوية العربية الجامعة، ومجابهة رهانات العولمة وما بعدها والصور النمطية عن العرب والمسلمين وثقافتهم

وفي الأخير، فإن الفعل الثقافي يتأثر سلبًا بحالة الترهل الفكري والتفكك السياسي الذي يعاني منه العالم العربي والإسلامي، ومن حالة الاستلاب الفكري الذي يميل لتعظيم المركزية الغربية والنظريات الفكرية القادمة من العالم الأنجلوساكسوني، وهو ما انعكس بشكل كبير على جهود إعادة إحياء التراث الثقافي العربي والإسلامي

والمطلوب حاليًا لمواجهة هذا الركود الفكري والتغريب الثقافي هو العمل على توحيد جهود المنظمات الثقافية الرسمية، من قبيل الألكسو والإيسيسكو وغيرهما من المؤسسات، والبحث عن الموارد المادية لتنفيذ البرامج الثقافية، وعقد شراكات مع الفاعلين الخواص في مجال الثقافة من أفراد مبدعين ومؤسسات ثقافية رائدة في المجتمع المدني، ورواد أعمال في مجالات الصناعة الثقافية، من أجل إطلاق حراك ثقافي بالعالم العربي يحتفي بتراثنا العريق وهويتنا المتنوعة الجامعة وتاريخنا الفكري الزاخر، وبإبداعات أجيالنا العربية المتعاقبة

ولن يكون ذلك ممكنًا بدون وجود قيادات واعية بدورها الحضاري ورغبة سياسية حقيقية لتحقيق نهضة ثقافية عربية إسلامية تشكل إطارًا جديدًا للوحدة والتفاهم والتقارب والعمل المشترك الذي يؤمن بوحدة المصير وبإمكانية خلق فرص مبتكرة للعمل المشترك من تحت رماد عوامل التفرقة والبلقنة التي تغذيها الأفكار المتطرفة المعزولة والأجندات الخاصة التي يحركها المتربصون بالوطن العربي، والإسلامي، وثرواته ومقدراته

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

أ.د. جليلة الطريطر

أستاذة الأدب الحديث - جامعة تونس

هو موضوع خطير، لأنّ أهمّيته تستمدّ من عنصرين مهمين في تاريخ الشّعوب، أولاهما: الثّقافة بكونها تعبير إنسانيّ شامل لأنشطة متنوّعة تشمل اليومي، والاجتماعي، والإبداعي، والمعرفي، والتّاريخي، إلخ، يكون فيها الإنسان فاعلا ثقافيّا مؤثّرا في محيطه، ومتأثّرا به في شتّى المجالات الاجتماعيّة منها، والاقتصاديّة، والمعرفيّة

وعلى ذلك يكون الإنسان المثقّف هو رأس المال البشريّ الأهمّ على الإطلاق، لأنّه هو مَن يبني الحضارة، ويحقّق الثروة، ويطوّر الحياة بوجهيها المادي والمعنوي، أي القيمي والإبداعي، فالثروة الأبقى ليست الثروة الطبيعيّة، وإنّما هي الثروة البشريّة الّتي تستثمر في الأولى، ولكنّ الأهمّ أنّها تشكّل بحدّ ذاتها ثروة تخلق ثروات متنوّعة وغير محدودة. بهذا المعنى نتحدّث عن اقتصاد المعرفة باعتباره اقتصادا مداره على الاستثمار في الرأس مال البشريّ

> الثقافة هي الرأس مال البشري الأهم على الإطلاق، لأنها تبني الحضارة وتطوّر الحياة بوجهيها المادي والمعنوي

أمّا العنصر الثّاني ولا يقلّ أهمية عن الأوّل، فهو المعطى الاستراتيجيّ الّذي يمثّل كيفيّات توظيف رأس المال الإنساني واستثماره على المدى الزّمني، سواء كان قصيرا أو طويلا، لذلك تعني الاستراتيجيّة: الاستشراف والهيكلة أو التنظيم، ورسم المسارات، وتحديد الأهداف، وضبط الوسائل والأدوات الكفيلة بتحقيق الأهداف المرسومة.

فوضع الاستراتيجيّات يمثّل مرحلة فكريّة متقدّمة تعكس وضوحا في الرؤية، وتحديدا للحاجيّات، ورصدا لإمكانيّات واقعيّة قابلة لتحويل الطموحات أو المقاصد النظريّة إلى منجز متحقّق في واقع الحياة

معوقات الاستراتيجية الثقافية

ولا يخفى هنا الترابط الكائن بين كفاءة رأس المال البشريّ وتفعيل مثل هذه الاستراتيجيّات، ولاسيّما الثقافيّة منها. ومن ثمّة يمكن أن نستنتج أنّ الإعاقة الاستراتيجيّة الأولى كامنة في إعاقة الإنسان بذاته، فإذا كان جاهلا ومهمّشا وجائعا، يستغرق حياته في سدّ رمقه، ولا يتمتّع بمؤهّلات فكريّة وتربويّة متقدّمة، لا يمكنه أن يتحوّل إلى إنسان استراتيجيّ أو فاعل استراتيجيّ حتّى في تخطيط لحياته اليوميّة،

فالفكر الاستراتيجيّ هو بحدّ ذاته أسلوب حياة وثقافة يتربّى عليها الفرد ويتعاطاها في اليوميّ من خلال تصريف شؤون حياته الآنيّة والمستقبليّة قبل أن يكون نشاطا مؤسّسيا، فكيف يمكن لشعب عمومه جاهل لا يفقه ثقافة التخطيط والاستشراف، تربّى على العيش يوما بيوم وثقافة الغنيمة والمصلحة العاجلة أن ينشئ مؤسّسات استراتيجيّة وفاعلة استراتيجيّا؟

فإذا ما عدنا إلى ما أوردته منظمة اليونسكو من معطيات إحصائيّة تتعلّق بتردّي الوضعيّات الإنسانيّة في أغلب الأقطار العربيّة، المتمثّلة بضعف نسبة التمدرس وارتفاع الأميّة، وهو ما يفسّر تردّي المردود العلميّ والمعرفيّ فيها بشكل لافت قياسا إلى منجز البلدان المتقدّمة، أمكننا أن نستنتج أنّ مثل هذه الأجيال الّتي لم تتربّ على الثقافة الاستراتيجيّة معوقة قاعديّا، إذ لا يمكن حتّى للنخبة - وفي مثل هذه الحالة ستكون حاملة حتما للمعوّقات العامّة على المستوى السلوكيّ والذهني - ولا حتّى المؤسّسات أن تكون استراتيجيّة على الوجه الناجع، والأغلب أنّ البرامج والمؤسّسات الاستراتيجيّة لن تكون إلاّ شيئا باهتا أو قشرة لا لبّ فيها!

> الثروة الأبقى ليست الثروة الطبيعية، وإنما هي الثروة البشرية التي تستثمر في الأولى، وتشكل بحد ذاتها ثروة تخلق ثروات متنوّعة وغير محدودة

إشكالات العصر الثقافية

هذا الموضوع حسّاس وراهنيّ اليوم أكثر من أيّ وقت آخر، لأنّ ما ذكرناه من معوّقات ثقافيّة داخليّة تتعمّق بتنزيلها في سياقاتها الحضاريّة العامّة، فالعصر الّذي نعيش فيه تتسارع وتيرته بشكل مدهش، هو عصر متقدّم استشرافيّا على العالم العربيّ بقرون، وأهمّ ما يميّزه تفشي العولمة الّتي أضحت أهمّ خطر يهدّد الثقافات المحليّة الضعيفة بما أتيح للمروّجين لهذه العولمة اليوم من وسائل وتكنولوحيّات حديثة تخترق الزّمان والمكان في طرفة عين، فارضة لغاتها وثقافتها الاستهلاكيّة وقيمها الماديّة التّجاريّة، هذا فضلا عن هيمنة التكتّلات الإقليميّة الكبرى الّتي نراها تتحرّك داخل أطر سياسيّة وأيديولوجيّة استراتيجيّة ناجعة ومحدّدة بمصالح اقتصاديّة آجلة وعاجلة تجعلها تتحكّم بإدارة العالم وتوجيهه الوجهة الّتي تنتفع بها.

ولاشكّ في أنّ البلاد العربيّة هي أهمّ مستهدف، لأنّها تتمتّع بثروات هامّة سواء كانت طبيعيّة أو جيو سياسية. فالكتل الإقليميّة هي اليوم المتحكّمة بسياسات العالم وبالفعل الاستراتيجيّ الثّقافي، لأنّه من أهمّ أدواتها في السيطرة على العالم، بل هي الّتي تصنع الاستراتيجيات الكبرى الّتي أخضعت لها إخضاعا الشعوب العربيّة لتستنزفها وتمتصّ ثرواتها.

فالثورات العربيّة مثلا ليست إلاّ وجها من وجوه هذه الاستراتيجيّات الكبرى الّتي تستغلّ الثّقافي والعقدي من أجل زعزعة أمن الشعوب المستهدفة سياسيا واجتماعيا وثقافيا وتفكيك وحدتها باستعمال العنصر البشريّ، وتجنيده ضدّ شعوبه، وإحلال الفوضى محلّ الأمن والسلم الاجتماعي تحت مسمّيات كاذبة لا نرى لها أيّ تطبيق في العالم، فكيف يمكن والحال هذه أن نتحدّث عن التّفكير في تفعيل استراتيجيّات ثقافيّة عربيّة فعّالة وناجعة في بلدان عربيّة ممزّقة ومستباحة، سواء أكان ذلك عن طريق منظّمات مثل الألكسو وغيرها، أو حتّى من خلال مؤسّسات داخل البلاد العربيّة الواحدة، والحال أنّها كسيحة ومدمّرة هيكليّا وبشريا.

أعتقد أنّ طرح هذه الإشكاليّة اليوم ليس مرتهنا بحسن النوايا ولا بالإمكانيّات الماديّة وحدها، بل هو مطروح داخل صراعات عالميّة تغيّرت فيها أساليب الاستعمار والهيمنة وأصبحت بذاتها استراتيجيّات كبرى ومتقدّمة جدّا، ومدعومة

> الفكر الاستراتيجي هو بحد ذاته أسلوب حياة وثقافة يتربّى عليها الفرد

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

معالي الأستاذة سميرة رجب

كاتبة، وزيرة الإعلام الأسبق، والمبعوث الخاص للديوان الملكي، مملكة البحرين

يمكن القول بأن مفهوم الثقافة هو مفهوم شامل، تتغير تفصيلاته باختلاف مجالات البحث الاجتماعية والإنسانية والأنثروبولوجية والاقتصادية والسياسية وغيرها. لكن المفهوم الأكثر تداولا من قبل الباحثين والمنظمات الدولية والإقليمية وحتّى المؤسسات الوطنية العاملة في مجال الثقافة، يجد جذوره في المفهوم المقترح من منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ضمن إعلان مكسيكو للثقافة سنة 1982، والذي يعتبر الثقافة «جميع السمات الروحية، والمادية، والفكرية، والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات»

وترسّخ المفهوم العالمي للثقافة ومبادئه الأساسية، كما اقترحته منظمة اليونسكو، ضمن الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي الذي اعتمدته المنظمة في نوفمبر 2001، والذي جاء ليؤكد على أن التنوع الثقافي تراثا مشتركا للإنسانية وجب احترامه والدفاع عنه.

وعلى الصعيد العربي والإسلامي ذهبت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) في تعريفهما للثقافة، بنفس اتجاه مفهوم الثقافة المدون أعلاه والذي وضعته منظمة اليونسكو، ودعمتاه بكثير من التفصيل. كما تشترك معظم الدول العربية، ضمن سياساتها واستراتيجياتها الوطنية في مجال الثقافة، في نفس المفهوم

تساؤلات مشروعة:

إذن كان هناك شبه إجماع عربي حول مفهوم الثقافة، فهل يمكن القول بأن هناك في المقابل خطط أو استراتيجيات ثقافية عربية موحدة وبرامج ثقافية مشتركة تنعكس إيجابيا على الشعوب والثقافات في العالم العربي؟ أم أن هنالك قصور وخلل وتحديات كبيرة في تنفيذ المبادرات والمشاريع الثقافية العربية؟ وما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه منظمة الألكسو، كأكبر منظمة إقليمية عربية تعنى بالشأن الثقافي العربي وتطويره؟ وكذلك ما هو دور المؤسسات الوطنية الرسمية وغير الرسمية، العاملة في مجال الثقافة، في تذليل العقبات والتحديات؟

1 تقييم دور الاستراتيجيات الثقافية العربية في تحقيق الوحدة بين الشعوب والثقافات في العالم العربي

للإجابة عن التساؤل الأول وبالرجوع إلى الخطط والاستراتيجيات الثقافية العربية المتاحة، تَبرُز لنا بشكل واضح الملاحظات التالية:

تتضمن الخطة الشاملة المحدثة للثقافة العربية (2021) الصادرة عن منظمة الألكسو، قراءة دقيقة للمتغيرات التي ميّزت العشرية الأخيرة في العالم العربي، وما شهدته من تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية كبرى لعدد من هذه البلدان، أثّرت بشكل كبير على مسألة الثقافة والهوية والسياسات الثقافية التي اتخذتها حكومات تلك البلدان في خضم التطورات التي شهدتها. وتضمنت قائمة المشاريع الثقافية 2025-2026، مجموعة من المشاريع المتنوعة التي تشمل مجالات المهرجانات والتظاهرات الثقافية، والمؤتمرات والملتقيات، والبرامج التدريبية، والمعارض، والمحاضرات، والحفاظ على التراث، وغيرها

تتضمن وثيقة «التوجهات الاستراتيجية في أفق 2025» الصادرة عن منظمة الإيسيسكو عددا من المجالات، وُصفت بالمجالات ذات الأولوية، والتي تشمل الفن والإبداع والصناعات الثقافية، التراث الثقافي، الكتب والنشر والأدب، والسياسات الثقافية، والبحث والتطوير، وغيرها.

تتضمن الاستراتيجية الثقافية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية 2020-2030 توصيفا لمحاور الاستراتيجية وأهدافها، والتي تشمل مؤسسات العمل الثقافي، الفعاليات والبرامج الثقافية، التمويل والدعم المالي، وغيرها

ويمكن القول بشأن هذه الاستراتيجيات، أنها بدون شك مبادرات ومشاريع ثقافية عربية مهمة تعبّر ربما عن إرادة صادقة لصانعيها في دعم الشعوب والثقافات في العالم العربي. لكن واقع متابعة تنفيذ هذه الخطط وتحويلها إلى برامج ثقافية تنفيذية على المستوى العربي يبقى ضعيفا، ولا يمكن اعتباره قد انعكس بالشكل الإيجابي الفعّال على المواطن العربي. ولن نخوض في البحث عن الأسباب العميقة لهذا الضعف في تنفيذ البرامج الثقافية العربية، ونكتفي بالقول بأن المشاكل الهيكلية التي تشوب مرحلة وضع الخطط الاستراتيجية الثقافية العربية، واحترام المعايير العلمية التي تنبني عليها الخطط والاستراتيجيات بشكل عام من مرحلة التصميم إلى مرحلة التنفيذ (خلل في التنفيذ أو عدم التنفيذ)، بالإضافة إلى مزاجية أصحاب القرار الثقافي، ومشاكل التمويل، واختلاف السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي بين بعض الدول العربية، هي أسباب كفيلة لجعل هذه الخطط والاستراتيجيات الثقافية العربية مشاريع محدودة لا تنعكس إيجابا وفعالية بالشكل المطلوب على المواطن العربي

العقبة الأساسية تكمن في مزاجية أصحاب القرار الثقافي، وضعف المتابعة، واختلاف السياقات السياسية

ومما يزيد الأمر أكثر صعوبة هو وجود العديد من الخطط والاستراتيجيات الثقافية الوطنية الخاصة بكل بلد على حدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- البرنامج التنفيذي للاستراتيجية الوطنية للثقافة 2023-2027- الأردن
- الاستراتيجية الثقافية 2021-2040- سلطنة عُمان
- استراتيجية تنمية القدرات الثقافية لدعم المواهب السعودية (رؤية 2030)- المملكة العربية السعودية
- الاستراتيجية الوطنية للصناعات الثقافية والإبداعية 2021-2031 – الإمارات العربية المتحدة

وبشكل عام تنحصر الاستراتيجية الثقافية لأغلب الدول العربية في أهداف وبرامج الوزارة أو الهيئة العامة المشرفة على قطاع الثقافة في البلد، والتي تأخذ بعين الاعتبار وبالدرجة الأولى الواقع المحلي، ولا تكون بالضرورة متقاطعة مع أهداف وسياسات الخطط والاستراتيجيات الثقافية العربية العابرة للحدود. ويَنْتُج عن ذلك ظهور نوع من «الجزر الثقافية» غير المترابطة بسبب الاختلافات السياسية والسياسات الثقافية والاجتماعية المختلفة للدول العربية. وبالتالي لا يمكن الحديث عن تحقيق فعلي للوحدة بين الشعوب والثقافات في العالم العربي.

2 دور المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية في الدول العربية في تفعيل محاور الاستراتيجية الثقافية العربية

ومن جهة أخرى، تُعتبر المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية العمود الفقري لتفعيل محاور الاستراتيجية الثقافية العربية وتنفيذ البرامج والمبادرات والمشاريع الثقافية المرتبطة بها على أرض الواقع. فلا يمكن أن تنجح هذه المبادرات والمشاريع بدون الانخراط الفعلي للمؤسسات الثقافية في عملها. ولكن ما نلاحظه أن طريقة عمل منظمة الألكسو، بالتحديد، كمنظمة عربية منبثقة عن جامعة الدول العربية وتمثل أعضاء للدول العربية كافة، يَغلُب عليها التنسيق المباشر مع الوزارات والجهات الحكومية الرسمية التي تعنى بالشأن

الثقافي في البلد، ممّا يُوقع عملية التنسيق في فخ البيروقراطية المقيتة التي تميز بلداننا، ويُقلل من فرص مشاركة مؤسسات ثقافية غير رسمية يمكن أن تكون أكثر تميزا وابتكارا من المؤسسات الثقافية الرسمية الموجودة على الساحة الوطنية

ونشير في هذا الإطار إلى أن المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية، وخاصة منها المؤسسات الأهلية الصغيرة التي تُعنى بالفن والتراث والأدب ومختلف المجالات الثقافية

الأخرى، هي الأكثر قربا من المواطن العربي وتأثيرا على سلوكه الثقافي على أرض الواقع، وهي التي تلعب دور الوسيط الفعلي في علاقة البرامج والخطط والاستراتيجيات الثقافية مع المستفيدين منها. وعلى هذا الأساس وجب إيلاؤها المكانة المركزية في عملية تنفيذ الخطط والاستراتيجيات الثقافية، وتمويل نشاطاتها بشكل سخي دعما للابتكار والتميز الثقافي

> المؤسسات الثقافية غير الرسمية هي الأكثر قرباً وتأثيراً على المواطن العربي

3 دور الألكسو في تعزيز العمل الثقافي العربي وعلاقتها بمحاور الاستراتيجية العربية

يمكن القول بأن منظمة الألكسو، هي مكسب عربي مهم، استطاعت أن تواصل عملها منذ نشأتها بالرغم من التحديات واختلاف الرؤى بين الأعضاء المكونين لها. ويمكن أن تواصل لعب الدور الرئيسي في تعزيز العمل الثقافي العربي، بصفتها منظمة ثقافية عابرة للحدود العربية، وتسهر على توحيد الشعوب العربية وثقافاتها المختلفة

> الألكسو قادرة على صنع الفارق إذا تحررت من القيود السياسية وأصبحت منظمة مستقلة ذات أهداف تنموية واضحة

لكن الواقعية تفرض على المنظمة الثقافية العربية، حتى تكون أكثر إبداعا وابتكارا وفاعلية في تنفيذ خططها الاستراتيجية، بأن تنسلخ عن القيود السياسية والأطر البيروقراطية التي تُكبل عملها، بما أنها جزء لا يتجزأ من مؤسسات جامعة الدول العربية. ومادامت جامعة الدول العربية مكبّلة باختلاف رؤى أعضائها، وتباين المصالح الضيقة للدول الأعضاء، وعجزها المتكرر في اتخاذ قرارات حاسمة في مجال العمل العربي المشترك، فإنه من الصعب أن يتطور عمل منظمة الألكسو، ومن الصعب أن تنجح في تنفيذ مشاريعها الثقافية العربية، وتحقيق أهدافها بالشكل المنشود ليستفيد منها المواطن العربي. وليست هناك، مع الأسف الشديد، عصا سحرية لتغيير هذا الوضع السلبي، سوى لربما بجعل المنظمة هيكلا ثقافيا عربيا مستقلا، بعيدا عن الخلافات السياسية، وتأخذ خططه الاستراتيجية وبرامجه التنفيذية بعين الاعتبار الهدف الأسمى وهو مساهمة الثقافة في بناء الانسان العربي ومنها نحو بناء الوطن العربي. ولن يتحقق ذلك إلا بالعمل بشكل لصيق ومباشر، وبعيدا عن وساطة الجهات الحكومية، ودرءً للبيروقراطية المقيتة وأهواء أصحاب القرار الثقافي، مع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية بمختلف أحجامها وانتماءاتها الفكرية ضمن مناخ منفتح يُتيح التلاقح بين الأفكار والاتجاهات الثقافية المختلفة، ليساهم في تحقيق مجتمعا متسامحا ومتعددا ثقافيا واجتماعيا

4 نحو تعزيز فاعلية دور الألكسو على مستوى العمل الثقافي العربي المشترك

ضمن تحقيق نشرته مجلة الفيصل بتاريخ 6 نوفمبر 2016 حول الاستراتيجية الثقافية العربية، عبّر معظم المستجوبين من المثقفين والمبدعين العرب عن نظرتهم السلبية حول العمل الثقافي العربي المشترك ومن عدم فعالية الخطط والاستراتيجيات الثقافية العربية. وصوّر الناقد السعودي سعد البازعي هذا العجز في قوله «ما أكثر الاستراتيجيات وما أقل العمل بها».

ويبدو فعلا أن المشكلة الأساسية التي لا تزال موجودة إلى اليوم، تكمن في القدرة على تنفيذ الخطط والاستراتيجيات الثقافية على المستوى العربي، بالرغم من القراءات الدقيقة للوضع الثقافي العربي الراهن

> الاستراتيجيات الثقافية العربية تعبّر عن إرادة صادقة، لكن تنفيذها ضعيف وغير فعّال

5

أخيرا، وضمن نظرة استشرافية إيجابية، لا توجد منطقة في العالم، تتوفر فيها أسس لغوية، دينية، ثقافية، وهوياتية متجانسة، أكثر من المنطقة العربية. هناك لغة ودين وهوية مشتركة تجمع معظم شعوب المنطقة العربية.

وهي النقطة الأساس التي غابت عن تكتلات إقليمية ودولية كثيرة. فالاتحاد الأوروبي على سبيل المثال، يواصل التنسيق بين أعضائه لدعم الاستراتيجية الثقافية الأوروبية منذ أكثر من ثلاثين سنة، بالرغم من وجود أكثر من 27 بلد عضو و24 لغة مختلفة. فلنجعل هذا الإرث العربي المشترك قوة للمضي قدما في البناء الثقافي للإنسان العربي ولوطننا العربي

وعليه، يجب الاعتراف بالمجهودات الكبيرة المبذولة من قبل المشرفين على الخطط والاستراتيجيات الثقافية العربية، سواء كان ذلك على المستوى العربي المشترك (الألكسو/ الإيسيسكو)، أو الإقليمي (الخليجي)، أو الوطني.

ولا بد من الثناء على المبادرات والبرامج الثقافية المقترحة والمتضمنة للاستراتيجيات، والتي سعت إلى الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدول العالم العربي، خاصة في العشرية الأخيرة، والتحديات التي فرضتها التطورات التقنية والتكنولوجية، وكذلك الصعوبات التي فرضتها عولمة الثقافة ومضامينها العابرة للحدود

في المقابل، وحتى يتم تحقيق الأهداف المنشودة على أكمل وجه، والوصول إلى الهدف الأسمى المتمثل في البناء الثقافي للإنسان العربي، يجب أن تُأخذ بعين الاعتبار الملاحظات التالية:

1. على المستوى العربي المشترك، يجب دعم جهود الألكسو هيكليا وماديا، وجعلها منظمة عربية تتمتع بهامش كبير من الاستقلالية في وضع برامجها واختيار أدوات وطرق تنفيذ ها

2. بناء الاستراتيجية الثقافية العربية الشاملة على فلسفة بناء المواطن العربي ثقافيا

3. التنسيق الدقيق بين واضعي الاستراتيجية الثقافية العربية الشاملة وواضعي الاستراتيجيات العربية الأخرى سواء على المستوى الإقليمي أو الوطني، بهدف التكامل والتقارب في تحقيق الأهداف ا لمشتر كة

4. التركيز الأكبر على التنفيذ الفعلي للبرامج والمبادرات، لأن عددا كبيرا منها يبقى بدون تنفيذ أو متابعة نتيجة أسباب عدّة، منها قصور التمويل، البيروقراطية، واختلاف الرؤى في عملية التنفيذ

5. التركيز على مشاريع الثقافة في علاقتها بالتغيرات الحديثة، لا سيما التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم العربي، التطورات التكنولوجية التي تجتاح الممارسات الثقافية، والتعامل الذكي مع الاتصال بين الثقافات كجزء من صراع الحضارات

6. إعطاء فرصة أكبر للمؤسسات والجمعيات والمراكز الثقافية العربية غير الرسمية في المساهمة فعليا وعلى أرض الواقع في تنفيذ المشاريع والمبادرات والبرامج الثقافية العربية، وعدم إقصاء أي طرف منها بسبب حجمه أو اتجاهاته الفكرية أو الفلسفية

7. بناء شراكات مع منظمات وهياكل دولية من شأنها كسب مزيد من التموقع على المستوى الدولي

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

الإعلامي عبد العزيز بن فهد العيد

إعلامي ومثقف سعودي

يمكننا القول إن الاستراتيجيات والخطط الثقافية، لكي تحقق الوحدة بين الشعوب، لابد أن تكون قابلة للتنفيذ، ومبنية بناءً سليماً، يراعي تطورات الزمن والمتغيرات في الوطن العربي ككل، وفي كل وطن على حدة

بشرط أن تكون كل خطة عمل استراتيجية جديدة أو محدثة او مجددة مبنية على ما يلي:

- معالجة تقييمية لمخرجات الخطط والاستراتيجيات السابقة
- تأخذ بعين الاعتبار القواسم المشتركة للخطط والاستراتيجيات الوطنية
- تراعي الخصوصيات الوطنية.
- تلبي الاحتياجات الوطنية والعربية المشتركة
- تتناغم مع القواسم الثقافية الإنسانية والدولية المشتركة
- تتماهى مع الخطط والاستراتيجيات الدولية في الشأن الثقافي
- تتفادى التكرار والازدواجية في محتوى المحاور والبرامج والمشاريع والأنشطة التي تحملها وتتبناها
- تحرص على ترشيد النفقات.
- تسعى للاندماج والتكامل الثقافي
- مبنية على فلسفة براغماتية مرنة قابلة للتنفيذ والقياس
- خطة واستراتيجية حاملة لمشاريع ذات جدوى وليست مجرد أحبار على أوراق صفراء
- تنطوي على آليات لمتابعة تنفيذها وتقييم مخرجاتها وتقويم مساراتها
- تحمل رؤية استشرافية تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الدولية ورهانات وتحديات الزمان والمكان في كل عصر ومصر
- تحرص على ضمان التواصل والتنسيق والتعاون والتكامل والشراكة فيما بين المنظمات العربية والاقليمية والدولية

يكمن الخلل حتماً في النظرة للبعد الثقافي، كأولوية مهمة، وفي فهم مسؤولي الثقافة في كل بلد عربي، لدور الثقافة موحدة للشعوب العربية، وقوة إبداعية تربط المثقفين والإعلاميين والكتاب والمفكرين، في منظومة واحدة تقود التأثير، وتصنع الفارق لدى الجمهور الذي يتأثر بطبعه بكل ما يطرح من هذه الشخصيات في الشأن العام، والشأن الثقافي بشكل خاص

إن الاستراتيجيات والخطط الثقافية، لكي تحقق الوحدة بين الشعوب، لابد أن تكون قابلة للتنفيذ، ومبنية بناءً سليماً

وكذلك في الإعلام الثقافي القاصر الذي يفتقد للكوادر المؤهلة عددياً ونوعياً، وهو القائم على ترويج الصناعات الثقافية، وإعلام الجماهير بها، وكيفية المساهمة بها بوصف الجمهور شريكاً فاعلاً في الثقافة مؤثراً، ومتأثراً

يمكننا تلخيص مواطن الخلل على النحو الآتي:

- غياب أو تغييب الدراسات التقييمية لمخرجات الخطط والاستراتيجيات السابقة
- الانعزالية والانطوائية الوطنية والقطرية وحتى القومية للخطط والاستراتيجيات
- عدم مراعاة الخصوصيات الوطنية والإقليمية
- عدم تلبية الاحتياجات الوطنية والعربية المشتركة
- التنافر مع القيم الثقافية الإنسانية والدولية وتجاهل القواسم المشتركة
- التكرار والازدواجية في تنفيذ الأنشطة ذات العلاقة على المستوى العربي والاقليمي والدولي
- الإهدار المالي للنفقات.
- غياب الاندماج والتكامل الثقافي.
- إعداد الخطط والاستراتيجيات بصيغة تجعلها غير قابلة للتنفيذ
- خلو الخطط والاستراتيجيات من أي مشاريع عملية واقعية ذات جدوى
- عدم مراعاتها لاحتياجات الدول وعلى الأخص للدول ذات الاحتياجات الخاصة
- عدم مرونتها وعدم توفرها على مؤشرات القياس

عدم احتواء الخطة أو الاستراتيجية على آليات لمتابعة تنفيذها وتقييم مخرجاتها وتقويم مساراتها

والأمر نسبي من دولة لأخرى، فيما يتعلق بدور المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية في هذه الاستراتيجيات

غياب أو تغييب الدراسات التقييمية والتكرار والازدواجية سبب رئيس في فشل تنفيذ البرامج الثقافية

والأسئلة المهمة جداً في هذا السياق هي:

هل تمكن كل المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية، من الاطلاع على الاستراتيجية الثقافية العربية في كل بلد عربي؟

هل تقسم المسؤوليات كل حسب قدرته من تلك المؤسسات، لتنفيذ ما يخصه في هذه الاتفاقية؟

وهل يجري تقييم التنفيذ عند كل مؤسسة ما قامت به، ومالم تقم به؟

وفي واقع الأمر يتراوح من دولة لأخرى بالنظر لعدم وجود اختبارات نذكر منها:

1. مدى استيعاب الدول لأهمية دور الدبلوماسية الثقافية في تحقيق التنمية المستدامة والاستقرار والعيش الآمن والتعايش السلمي بين الشعوب والدول والأمم
2. مدى توفر الإمكانيات المالية والمادية وترشيد استخدامها
3. مدى توفر القدرات الفنية وتوظيف الخبرات والكفاءات
4. مدى استيعابها لأهمية بناء العلاقات وتشبيك الشبكات النافذة والمؤثرة على الساحات الوطنية

والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أسست اصلا على وثيقة ميثاق الوحدة الثقافية العربية ادراكا من مؤسسي هذه المنظمة على أهمية وحيوية العامل الثقافي في بناء الإنسان، والشعوب، وقيام الدول، والأمم

> المنظمة أسست على ميثاق ثقافي موحد، لكنها تعاني من ضعف التنفيذ، وغياب الرؤية الاستشرافية.»

وهو ما يفسر الاعتمادات المالية الكبيرة المخصصة لإدارة الثقافة بالمنظمة مقارنة ببقية الإدارات، وهو ما يفسر أيضا حيوية مؤتمر الوزراء المسؤولية عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي مقارنة بالمؤتمرات الوزارية المتخصصة الأخرى، وهو ما يفسر أيضا كون المشاريع الثقافية في المنظمة تحظى اليوم بخطة عربية شاملة محدثة للثقافة على خلاف بقية مشاريع القطاعات الأخرى، وهو أيضا ما يفسر توجه العديد من الدول إلى اسناد رئاسة اللجان الوطنية العربية للتربية والثقافة والعلوم لوزارات الثقافة، غير أن الإشكالية المطروحة على مستوى الإلكسو تكمن في عدم تمكنها من تحقيق المنتظر منها لأكثر من عامل، لعل من أبرزها:

- عدم توفر الكادر الفني المطلوب.
- عدم الاستخدام الأمثل للإمكانات الفنية والمالية والمادية المتاحة للقطاع
- غياب أو تغييب المعالجات التقييمية لمخرجات الخطط والاستراتيجيات المعمول بها
- عدم ترتيب الأولويات في تلبية الاحتياجات الوطنية والعربية ذات الاهتمام المشترك
- التكرار والازدواجية المملة في تنفيذ الأنشطة ذات العلاقة على المستوى العربي والإقليمي والدولي
- الإهدار المالي للنفقات.
- غياب الاندماج والتكامل الثقافي
- إعداد الخطط والاستراتيجيات بصيغة تجعلها غير قابلة للتنفيذ، خالية من أي مشاريع عملية واقعية ذات جدوى ولا مراعية لاحتياجات الدول ولا حتى احتياجات الدول ذات الاحتياجات الخاصة.
- عدم مرونة أنشطة المنظمة وعدم توفرها على مؤشرات القياس
- عدم احتواء خططها واستراتيجيتها على آليات لمتابعة تنفيذها وتقييم مخرجاتها وتقويم مساراتها وحركاتها، وأن وجدت فهي غير مفعلة

فقدان خطط المنظمة واستراتيجيتها لأي رؤية استشرافية تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الدولية، ورهانات، وتحديات الزمان، والمكان

عدم تنسيق المنظمة وعدم تكامل مشاريعها مع إداراتها ومراكزها الخارجية ولا مع المنظمات النظيرة لها

اكتفاء المنظمة في تنفيذ مشاريعها وأنشطتها على مساهمات الدول أو استضافاتها لها دون السعي لتنويع مصادر تمويلها

عدم تنسيق المنظمة وعدم تكامل مشاريعها مع إداراتها ومراكزها الخارجية ولا مع المنظمات النظيرة لها

ولتعزيز فاعلية دور المنظمة بشكل أفضل سعت المملكة العربية السعودية دون هوادة منذ ترأسها للجهاز التشريعي للمنظمة، بدءًا من مجلسها التنفيذي وصولا لمؤتمرها العام، لتجسيد القيمة المضافة التي صنعت وتصنع الفرق على مستوى المنظمة منذ الترأس المزدوج للمملكة العربية السعودية للجهاز التشريعي والتنفيذي، وإقرارها مسارا لمراجعة تنفيذ كل برامجها ومشاريعها وأنشطتها وخططها واستراتيجياتها وكيفية إعدادها لموازنتها ومحاسبتها على مخرجاتها، ومن ثم مساءلتها على كل ماله علاقة بالشؤون الإدارية والمالية والفنية لكل مجالات عملها بما فيها الثقافية إلى جانب مجالات عملها التربوي والعلمي

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

فايزة محمد

كاتبة وإعلامية عُمانية

لا شك أن الاستراتيجيات الثقافية من العناصر الأساسية التي تساهم في تحقيق الوحدة بين الشعوب والثقافات في العالم العربي، حيث إن لها دور مهم في بناء جسور التواصل والتفاهم بين مختلف المجتمعات

وتعكس الاستراتيجيات الثقافية عبر عدة جوانب الوجه الحضاري للدول، والتي قد يؤدي اندماجها إلى تعزيز الهوية العربية المشتركة، كالفعاليات الثقافية المشتركة من مهرجانات ومعارض مثالا، والروابط الاجتماعية المختلفة

وهناك عدة عوامل يمكن من خلالها تحقيق الهوية العربية الثقافية المشتركة وتعزيزها كـ:

الاحتفال بالتراث المشترك، مثل الفنون الأدبية والموسيقية، التي تساهم في بناء الشعور بالانتماء

الاحترام المتبادل بين الثقافات العربية المختلفة

دعم الحوار الثقافي عبر إقامة الفعاليات الثقافية المشتركة كالمعارض، والمهرجانات، وورش العمل، فهي قد تعمل على خلق لغة الحوار بين الثقافات المختلفة وتقليل الفجوات وفهم وجهات النظر المختلفة

معوقات العمل الثقافي العربي

ومن هنا يأتي دور المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية التي تلعب دورا حيويا ومحوريا في تفعيل محاور الاستراتيجية الثقافية العربية، لكنها للأسف تواجه تحديات كبيرة، بل ترتقي هذه التحديات إلى مرتبة المعوقات التي تمنعها من تأدية هذا الدور، حيث تتجسد في:

- ضعف تمويل المؤسسات الثقافية ماليا وإداريا
- غياب التنسيق بينها
- عدم وجود رؤية شاملة موحدة
- التحديات السياسية والاجتماعية التي قد تؤثر سلبًا على الأنشطة الثقافية وتحول دون تحقيق الوحدة الثقافية
- النقص الكبير في التوعية بأهمية تلك الاستراتيجيات الثقافية على المستوى المجتمعي والشعبي

إن المؤسسات الرسمية كوزارات الثقافة تعاني في العديد من الدول العربية من نقص شديد في التمويل، حيث تحتاج إلى تقديم برامج متكاملة وفعالة تعزز من الثقافة الوطنية وتدعم الفنون والتراث، الأمر الذي يعيق من قدرتها على تنفيذ ذلك، بينما يغيب الدعم الحكومي عن المؤسسات غير الرسمية والتي تلعب دورًا مهمًا في خلق مساحات تفاعلية للشباب، كالأندية الثقافية والجمعيات وذلك من أجل تعزيز استدامتها وتأثيرها

لا يمكن إنجاح أي استراتيجية ثقافية دون تجاوز البيروقراطية وتمكين المؤسسات غير الرسمية

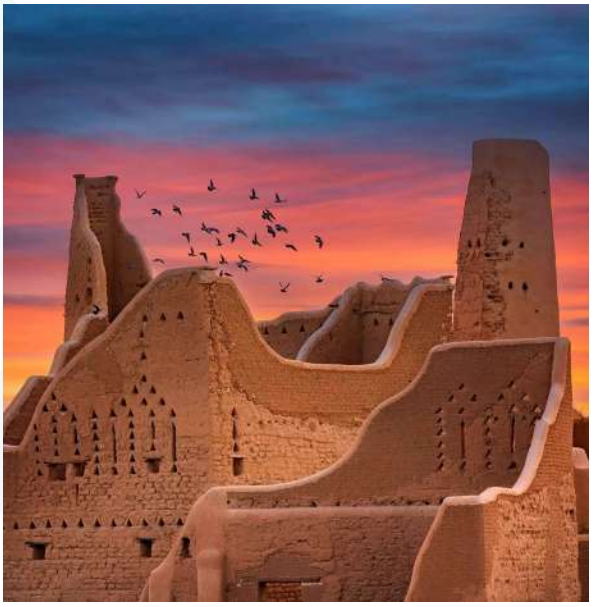

وعلى سبيل المثال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإلكسو)، والتي تعنى أساسا بالنهوض بالثقافة العربية، فبالرغم من الجهود التي تبذلها، إلا أنها من الممكن أن تقوم بدور أكبر وأكثر فاعلية وذلك عبر عدد من المقترحات:

- تعزيز التنسيق والتعاون بين الدول الأعضاء عبر إنشاء شبكة من المؤسسات الثقافية لتبادل المعرفة والممارسات الجيدة والخبرات
- دعم الابتكار وتطوير برامج تعليمية وثقافية وتشجيع المشاريع الجديدة خاصة التي تستهدف الشباب وتعزز وعيهم الثقافي
- توسيع نطاق الأنشطة وتنظيم فعاليات ثقافية في مختلف الدول العربية لتعزيز الروابط الثقافية
- إنشاء شراكات مع المؤسسات الأكاديمية والبحثية لتعزيز البحث والدراسات الثقافية
- تسويق الثقافة العربية دوليًا عبر إقامة الفعاليات والمعارض الخارجية
- تقييم الأداء ووضع آليات لفاعلية البرامج الثقافية وتعديلها بناءً على النتائج

الأمر الذي من شأنه في النهاية تعزيز العمل الثقافي العربي وتحقيق الوحدة الثقافية بين الشعوب. وقد تكون هناك خطط استراتيجية جيدة، لكن ضعف التنفيذ أو عدم وجود آليات واضحة للرصد والتقييم يؤدي إلى عدم تحقيق النتائج المرجوة. وحتما فهناك حاجة ملحة لتعزيز دور المؤسسات الثقافية والإسهام في تحقيق الوحدة بين الشعوب العربية، لبناء مجتمع عربي قوي ومتماسك لمواجهة التحديات المشتركة وتعزيز السلام والاستقرار في المنطقة

لابد من التنسيق والتكامل بين المؤسسات الحكومية والمنظمات الثقافية والمجتمع المدني

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

مفلح العدوان

كاتب وأديب أردني

ثمة مؤشرات ودلالات وظواهر في الثقافة العربية خلال العقود الأخيرة، صار لزاماً أن يتم التطرق لها، ولا بد من جرأة معاينتها وتشريحها، ووضع توصيف لها، مع اقتراح المشاريع والسياسات والاستراتيجيات التي من شأنها أن تعزز الإيجابيات في المنجز الثقافي، وتعمل على تجاوز السلبيات التي يتم الحديث حولها في صالونات النخبة، أو المجاهرة بها في المنابر الإعلامية، ولكن دون محددات علمية للحالة الثقافية، وبلا دراسات موضوعية تعاين تأثيرات التحولات العالمية على المجتمعات العربية وثقافاتها، من خلال تحليل موضوعي لها

وإذا كانت الثقافة تحمل في جوهرها دورًا محوريًا في تشكيل هوية الشعوب، فإنها بالنسبة للعالم العربي، تمثل كنزًا غنيًا بالتقاليد، والفنون، واللغة، والقيم التي تشكّل روح الأمة، وهي القوة الناعمة التي تشكل الوعي الجمعي، وتحدد موقع الأمة العربية في خريطة الحضارة الإنسانية

> تحمل الثقافة في جوهرها دورًا محوريًا في تشكيل هوية الشعوب، فهي كنز غني بالتقاليد، والفنون، واللغة، والقيم التي تشكّل روح الأمة

الثقافة.. ضرورة لا ترف

إن وضع الآليات والاستراتيجيات الثقافية الواضحة المعالم، والفعالة، والقابلة للتطبيق، تعتبر ضرورة لا ترفاً، لضمان الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، ولتحقيق طموحات التنمية والنهضة، وفق صياغات جديدة يغلب عليها الجانب العملي التنفيذي، بعيداً عن الصياغة النثرية التنظيرية الحالمة

وعلى مستوى الدول العربية، فإنه بالرغم مما تملكه هذه الدول من تراث ثقافي حضاري ضخم وعريق، ووجود وزارات الثقافة والتربية والتعليم والإعلام والتعليم العالي، إضافة إلى المؤسسات والمنظمات المعنية بوضع الاستراتيجيات الثقافية، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم (الكسو)، وهي إحدى منظمات جامعة الدول العربية، ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) التي يشارك في عضويتها جميع الدول العربية.

برغم كل هذه الأطر المؤسسية العربية، إلا أن الاستراتيجيات والسياسات الثقافية التي تمت صياغتها من خلالها، ما زالت تعاني من شلل في التطبيق، وضعف في التنسيق بين الدول العربية، مع حالة من البيروقراطية عند المنظمات والمؤسسات أدت إلى تراجع دورها في التأثير على المجتمعات العربية،

يضاف إلى كل تلك الأسباب، قلة الدعم المالي للثقافة مقارنة بالقطاعات الأخرى، وتركيز السياسات الثقافية في الدول على الحفاظ على التراث، دون التقدم به وتطويره وإدماجه، لمواكبة متطلبات العصر الحديث

> من الضروري دعم الإبداع الشبابي، وإعطاء مساحات للتعبير الثقافي بحرية و مسؤ و لية

تعزيز الهوية.. مُواكبة التحولات

وحيث أن الجذور الحضارية للعالم العربي تمتد لآلاف السنين، وهناك قواسم مشتركة كبيرة بين الدول العربية، تُحَتِّم على النخب الثقافية، والمؤسسات المعنية، مواجهة السؤال الجوهري، في كيفية صياغة استراتيجيات ثقافية تواكب الواقع، وتلبي الطموح، وتنهض بالشخصية العربية في زمن التحولات الكبرى

ذلك أنه مع تطور العالم وانفتاحه، أصبحت الحاجة ملحة لاجتراح آليات وخطط ثقافية واضحة وفعّالة تواكب التغيرات، وتواجه التسونامي الثقافي العالمي للعصر الحديث، لضمان الحفاظ على الهوية الثقافية، ولتحقيق طموحات التنمية والنهضة العربية

وبما أنه تتوافر عربياً بعض الاستراتيجيات الثقافية التي انبثقت من المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم (الكسو)، ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، فإنه من الأهمية بمكان:

- البناء على تلك الجهود
- إعادة تفعيل هذه المنظمات
- مراجعة مدونة تلك الاستراتيجيات وفق رؤية قابل للتحقق و ا لتطبيق
- وضع رؤية عربية موحدة لصياغة استراتيجية ثقافية جامعة تعزز الهوية، وتواكب التغيرات، وتعمل على الاستثمار في الثقافة بدعم المشاريع الثقافية والإبداعية والفنون الرقمية التي تساهم في نشر الوعي والنهضة

الالتفات لدعم الإبداع الشبابي وإعطائهم مساحات للتعبير عن أنفسهم ثقافيا بحرية ومسؤولية

ضرورة دمج الثقافة بالتكنولوجيا، والاستفادة من الوسائط الرقمية لنشر الثقافة العربية وتعزيز التواصل الثقافي بين الدول العربية والعالم

تشجيع ثقافة الحوار وتعزيز الثقة بالذات ثقافيا وحضارياً

درب التعافي.. قمة ثقافية عربية

بالرجوع إلى وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم (الكسو)، نجد مشروعاً طموحا حين تم وضع استراتيجية شاملة تقدميّة للثقافة العربيّة الواحدة، ملتزم بالهُوية العروبية المشتركة، غير أن تلك الاستراتيجية لم تُفَعَّل، ولا تم الاهتمام بها

ولكن بعد عقود من وضع هذه الاستراتيجية الثقافية العربية، وفي اجتماع القمة العربية عام 2010م، تم اتخاذ قرار فيها بعقد قمة ثقافية عربية، لصياغة رؤية ثقافية مستقبلية للدول العربية، بحيث تتم وضع الخطوط العريضة للاستراتيجية الثقافية هذه بالتعاون ما بين أليسكو ومؤسسة الفكر العربي، ليصار إلى تقديمها في اجتماع القمة الثقافية للدول العربية، التي سيتم تحديد موعده لاحقاً

غير أن اشتعال حركات وثورات الربيع العربي في عدد من الدول العربية، عَطّل تنفيذ مشروع صياغة الاستراتيجية العربية، وكذلك أجَّل تحديد موعد القمة الثقافية العربية، وسط حالة الفوضى المجتمعية، والخلافات والصراعات العربية، فتراجعت أهمية الثقافة، أمام صعود السياسات العبثية، وانعدام الأمن، وتنامي العنف، المترافق مع تنامي موجة الإسلام السياسي، والفكر الإرهابي الجهادي التكفيري، وطغيان الخلافات الطائفية والعنصرية، واتساع دائرة الإثنيات المتناحرة

في إطار هذه الحالة المربكة للوطن العربي، اضمحل دور الثقافة، وانزوى المثقفون إحباطاً، وبعضهم هاجروا، وجزء منهم تحولوا إلى مقاولين في السياسة بانتهازية مكشوفة، وقلة منهم ما زالوا يناضلون رغم تهميشهم، انطلاقاً من احساسهم بالمسؤولية الثقافية والأخلاقية اتجاه مجتمعاتهم

وسط هذه الظروف المحبطة، والمشهد المربك، صار لزاما محاولة الرجوع إلى وضع تصور لاستراتيجية عربية، في سبيل تعافي العالم العربي وإنقاذ الثقافة، وتخفيف وطأة العجز والتشوهات التي ساهمت في إضعاف الثقافة العربية، وتراجعها عن مسيرة التقدم والتطور العصري والحديث

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

د. يعقوب الكندري

أستاذ علم الاجتماع
مدير مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في دولة الكويت

تسعى الاستراتيجيات الثقافية الإقليمية بشكل عام وفي نهاية أهدافها إلى توحيد الشعوب في إطار الثقافة، فتُعتبر الاستراتيجيات الثقافية بشكل عام أدوات رئيسة من شأنها أن تُعزز التعاون، ومبادئ التفاهم بين دول الإقليم بشكل عام. وتعتمد هذه الاستراتيجيات على مُحرك وعنصر الثقافة من أجل تحقيق قدر من الاندماج المجتمعي بين دول أي إقليم جغرافي.

وهذا الأمر ينسحب على الاستراتيجيات العربية التي تسعى إلى تعزيز مبادئ التعاون والتفاهم بين شعوب الدول العربية والسعي نحو تحقيق الاندماج الاجتماعي بينهما.

وتُعد الاستراتيجيات الثقافية أدوات مناسبة وفاعلة إذا ما تم تنفيذها بطريقة مناسبة لفتح قنوات ثقافية مشتركة يتم قبولها بين الأطراف المختلفة بثقافاتها الفرعية ضمن نطاق الثقافة العربية.

فالبرامج الثقافية التي تتضمنها تلك الاستراتيجيات هي بلا شك تُعتبر أداة من أدوات التبادل الثقافي التي تنقل عناصر ثقافية مختلفة إلى قطاعات واسعة من السكان في المجتمع العربي كالأفلام، والمعارض الفنية، والمهرجانات، والمسارح، والبرامج التعليمية وغيرها من أدوات نقل الثقافة

هذا بالإضافة إلى أن الاستراتيجيات العربية تعتبر أداة من أدوات التواصل الاجتماعي من خلال عقد الأنشطة الثقافية المختلفة على كافة مستوياتها، فيتم معرفة عادات وثقافات الدول العربية من خلال هذه الأنشطة عن طريق التواصل. وهذا التواصل بدون شك يُعد أداة من أدوات تقليل والحد من الصراعات والنزاعات بين المجتمعات، وتُقلل من حدة التوترات نتيجة لفهم متبادل للثقافات المختلفة ضمن المحيط العربي.

وللبرامج العملية والأهداف الخاصة بالاستراتيجيات الثقافية، فإنها من الممكن أن تخلق هوية مجتمعية عربية موحدة في مواجهة الهويات الغربية والهويات العالمية. فهناك قوالب متعددة يمكن الاشتراك فيها تتعلق بالأبعاد الثقافية.

وقد يكون من أهم هذه الأبعاد اللغة التي يُفترض أن تنطلق الاستراتيجيات العربية دائماً

وأبداً في تبنيها من أجل المحافظة على هذا الموروث الثقافي وتعزيزه. ولعل من أبرز الجوانب التي يمكن أن تُعززه الاستراتيجيات الثقافية هي تلك البرامج التي يتم إعدادها من أجل تعزيز التنمية المستدامة.

فلا تنمية من دون ثقافة مشتركة تسهم في الترويج للقيم الثقافية المرتبطة بجوانب مختلفة من التنمية من تحقيق قيم خاصة بالعدالة الاجتماعية، والمحافظة على البيئة، وغيرها. فالاستراتيجيات الثقافية العربية تلعب دوراً مهماً، وتُعتبر أداة أساسية لتحقيق جوانب إيجابية مُتعددة في حياة المجتمع العربي.

تتسم بعض الخطط الثقافية العربية بالهشاشة نتيجة تغليب التقليدية وإهمال التجديد والابتكار

الصعوبات والتحديات الثقافية

ولا شك فإن الاستراتيجيات الثقافية العربية تُعاني من مواجهة مجموعة من التحديات والصعوبات، وهي التي تؤدي إلى ضعف خططها بشكل عام.

لعل من أبرز هذه التحديات التي تواجه الاستراتيجيات الثقافية العربية هي تلك المتعلقة بالدعم المالي المناسب، وإشكاليات التمويل. فعدم الاهتمام الحكومي في المجال الثقافي في كثير من البلدان العربية هي قضية ملموسة، وتُعاني منها المجتمعات العربية بشكل عام.

إن عدم الاهتمام بهذه الاستراتيجيات يجعل المخصص المالي والدعم لها محدوداً من موازنة الدولة، وحتما فذلك يضعف القدرة على تنفيذ مشاريع بمستوى الطموح، بالإضافة إلى التأثير على جودة هذه المشاريع، وحتى قابليتها للتطبيق بما يُحقق من إنجاز أهدافها.

ولا شك فإن الاستراتيجيات العربية أيضاً تُعاني من ضعف في مستويات التنسيق بين الدول مع بعضها بعضاً، وكذلك بين المؤسسات الحكومية في هذه الدول مع المنظمات الثقافية، بالإضافة إلى القطاعات الأهلية؛ وهو كذلك يفقد التنسيق على المستوى الأعلى.

ومن الجوانب الأخرى المهمة في ضعف الخطط الثقافية هو التركيز على التقليدية في مواجهة الصراع مع الحداثة، وهو الذي قد يعيق من تحقيق قدر مناسب من الابتكار والانفتاح. فهناك ممن يقود الثقافة ويعتبرها مرتبطة بالتقليدية، ويؤكد على مفهوم الأصالة، وفي المقابل يهمل التجديد والحداثة والابتكار، وهو ما يجعل من هذه الاستراتيجيات تتسم بالهشاشة ولا تحقق القدر المناسب من الفائدة المرجوة منها.

وقد تكون هناك بعض العوامل الأخرى التي تعيق تحقيق الاستراتيجيات الثقافية البناءة، وهي تلك المرتبطة بفرض مجموعة من القيود السياسية وفي فرض الرقابة المفرطة وغير العلمية والمقبولة، وهو الأمر الذي يقف حجر عثرة في طريق الإبداع، والتعبير الثقافي ويؤثر عليه، ويُقلص من مساحات هذا الإبداع.

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن هناك إشكاليات تتعلق بالاستراتيجيات التي يتم بناءها، والتي ترتبط بمدد قصيرة الأجل، وليست ذات بُعد زمني مناسب تُحقق لها الاستمرارية، إنما تنتهي بانتهاء مجموعة من البرامج الثقافية التي يتم إعدادها.

ولا شك أيضاً أن الاستراتيجيات الثقافية تحتاج إلى جهود على كافة المستويات لإنجاحها، وقد يكون ابتعاد كثير من الأفراد عن المشاركة في هذه الاستراتيجيات عائقاً يحول دون نجاحها. فهي من التحديات المهمة في المجتمع العربي، والذي يرتبط بثقافته العامة التي يتدنى فيها الاهتمام بالأبعاد العلمية والثقافية، فلا يمكن تحقيق استراتيجية ناجحة دون مشاركة مجتمعية تشعر بأهمية هذه الاستراتيجيات وبرامجها

أن الاستراتيجيات الثقافية تحتاج إلى جهود على كافة المستويات لإنجاحها، وقد يكون ابتعاد كثير من الأفراد عن المشاركة في هذه الاستراتيجيات عائقاً يحول دون نجاحها

الدور المؤسسي

وعن الدور المناط بالمؤسسات الثقافية الرسمية المتمثلة في الهيئات والجهات الحكومية، والمؤسسات الثقافية غير الرسمية الخاصة بالجمعيات الأهلية، والثقافية ومؤسسات المجتمع المدني غير الأهلية، فإن أدوارها تتفاوت من حيث مدى تغلبها على الصعوبات والمشكلات التي تواجهها، وقدرتها على مواجهة هذه الصعوبات.

فغالباً ما تقوم الهيئات الحكومية المعنية بشؤون الثقافة من وضع آليات عامة لفعاليات تسعى لتنفيذها، وهي موجودة في كل الدول العربية، إلا أن هذا التغير يتفاوت من حيث الكفاءة والجودة حسب التغلب على هذه التحديات والعقبات،

وقد تنجح بعض من هذه الأنشطة، وخاصة قصيرة الأمد، إلا أن هناك قد تكون إشكالية في الأنشطة والبرامج طويلة الأمد، والتي سرعان ما تتعدل وتتغير بتبدل وتغير الأشخاص المسئولين عنها.

أما المؤسسات غير الرسمية فدورها قد يكون واضحاً في تقديم مجموعة من الفعاليات والأنشطة التي يصعب على المؤسسات الرسمية تبنيها. فهي مؤسسات فاعلة نسبياً في بعض من الدول العربية، والتي يمكنها أن تتحرك بحرية أكثر من المؤسسات الرسمية، ولكنها بكل الأحوال لا تخلو من أنها تواجه مجموعة من العقبات التي تحول دون تحقيق كل أهدافها المرجوة

ولا شك أن كل هذه الاستراتيجيات تقع على عاتق الدول العربية في تبنيها بشكل فاعل، وكذلك يقع الدور الأكبر على جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) تلك المؤسسة الرائدة التي تسعى دائماً إلى تعزيز سُبل وأُطر التعاون العربي المشترك.

الألكسو تسعى ولكنها تعاني من تحديات مشابهة لما تعانيه الدول نفسها من نقص الكوادر والتمويل

فعلى الرغم من الدور المميز لهذه المنظمة في التعاون مع المنظمات الدولية، والتركيز على التعليم الثقافي من خلال البرامج التعليمية المتعددة، وعلى الرغم أيضاً من دعمها وتنظيمها للعديد من الفعاليات الثقافية المختلفة، والمهرجانات، والندوات، والمحاضرات، والملتقيات العلمية، وعلى الرغم من دورها البارز والمميز لحفظ الموزون الثقافي وحماية التراث الثقافي، فعلى الرغم من كل هذه الأدوار المميزة لهذه المنظمة، إلا أنها أيضاً تعاني من تحديات وعقبات تحول دون تحقيق دورها على أكمل وجه لا تختلف عن تلك العقبات التي تواجهها الدول، والمتمثلة في بعض الموارد المالية، وغياب التنسيق، والأنشطة طويلة الأمد الغائبة، والإشكاليات الأيديولوجية والفكرية الخاصة بحرية التغير الثقافي في بعض الدول، وقضايا الرقابة وغيرها من المشكلات.

ولذلك، فهناك حاجة إلى:

- تمويل مناسب للمشاريع الثقافية واستدامتها
- التركيز على الحداثة والابتكار مع المحافظة على التقليدية والأصالة

تعزيز التعاون الدولي والدعم المناسب بكافة أشكاله

أهمية خلق بيئة مجتمعية مُحبة للثقافة وصديقة لها

تشجيع المشاركات المجتمعية في سبيل إنجاح الاستراتيجيات العربية

فالبعد الثقافي مهم في عملية التنمية، والاهتمام بهذا البعد هو الأساس الذي من خلاله تنمو المجتمعات، وتزدهر. فلا تقدم ولا تطور بدون اهتمام بالثقافة ومجالاتها المختلفة والمتعددة التي تعتبر هي حياة الشعوب وعنوان نهضتها. فلا نجد مجتمعاً متقدماً من دول العالم الأول لا يهتم بالموروث الثقافي، ولا يهتم بالأبعاد الثقافية لمشكلة الهوية المجتمعية.

الموقف الثقافي

الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي الواقع والطموح

بعد عرض آراء الخبراء والمثقفين، يمكن استخلاص النقاط الآتية كمقترحات لتعزيز فاعلية الاستراتيجيات الثقافية في العالم العربي:

أولاً: ضرورة استقلالية المؤسسات الثقافية العربية العابرة للحدود، وفي مقدمتها منظمة الألكسو، عن التوجهات السياسية الضيقة، مع دعم هيكلي ومالي مستدام

ثانياً: تصميم استراتيجيات ثقافية عربية شاملة قائمة على تقييم علمي سابق، تراعي القواسم المشتركة وتتبنى رؤية تنموية ثقافية قابلة للقياس والتنفيذ

ثالثاً: تجاوز البيروقراطية عبر شراكات فعالة بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وتمكين الجمعيات والمبادرات الثقافية المستقلة

رابعاً: الاستثمار في رأس المال البشري الثقافي، وتعزيز دور الثقافة في التعليم والإعلام والتنمية المستدامة

خامساً: إدماج الثقافة الرقمية والابتكار في العمل الثقافي، ومواكبة التغيرات العالمية دون فقدان الأصالة

سادساً: تعزيز التنسيق بين الدول العربية لوضع استراتيجية موحدة تتكامل فيها الخطط الوطنية وتتفادى التكرار والازدواجية

سابعاً: توفير آليات واضحة للرصد والتقييم والتقويم لكل الاستراتيجيات الثقافية المعتمدة عربيًا

ثامناً: جعل الثقافة أولوية تنموية، وليست هامشًا مكملاً، باعتبارها أداة توحيد، وسلاحًا ناعمًا في بناء الإنسان والمجتمع

الموقف الثقافي

25 since 2000
Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net